واجب أغنيائنا

حيال المشروعات العامة

المصريون بفطرتهم وعاداتهم وتقاليدهم أسخياء، ينفقون بل أحيانا يسرفون فى الاحتفالات والضيافة حتى لقد بلغ هذا الاسراف حدا استدعى التنبيه من الكتاب إلى ضرورة الاقلال من نفقات الاحتفال بالزواج أو الوفاة أو الاستقبال أو التوديع أو غير ذلك ، كما أننا نسخو أيضا بالاحسان ولكن فى غير نظام أو بلا مراعاة للتناسب . فاذا حان العيد توالت على الفقراء هدايا الكعك أو اللحم من جملة بيوت حتى لايدرون مايفعلون بهذا الطعام الفائض عن حاجتهم والذى لايمكن ادخاره للمستقبل . وقد يتخذ هذا الاحسان صورة هى الفوضى بعينها حين يخرج أعضاء الأسرة إلى الجبانات مع أطعمة مختلفة يوزعونها على الفقراء الذين احترفوا الفقر واستغلوا هذه المواسم يحضرون فى مواعيدها لكى يتسلموا ماقضت به العادات والتقاليد . مع أن التأمل القليل يجعلنا ندرك أن المحتاج الذى يستحق الصدقة والمعونة لايفكر فى الخروج إلى الجبانات لكى يتكفف ، إذ له من الحياء مايحمله على الانزواء فى عقر داره . ولكن سجية الاحسان التى يمتاز بها الشعب المصرى تحمله على التصدق جزافا . وما يحتاج اليه إذن هو التنظيم والتوجيه . وهذا هو ما سوف تقوم به وزارة الشؤون الاجتماعية التى أنشأت صندوق الاحسان فى عيد الفطر الماضى ، فكان له أحسن الأثر .

ولأغنيائنا من الأريحية البارة ما يجعل الكثير منهم فى الريف والمدن يؤسسون المساجد ولكن حتى هنا لا نجد النظام والتدبير المنظم . فقد نجد القرية الصغيرة تحوى ثلاثة أو أربعة من المساجد الصغيرة أسسها جميعها الموسرون دون أن ينظروا الى تكاليف الصيانة والأمامة ولذلك سرعان ما يهمل بعض هذه المساجد . مع أنهم لو كانوا قد تكاتفوا وأنشأوا مسجدا واحدا أو مسجدين لاستطاعوا أن ينفقوا عليه أو عليهما المبالغ التى وزعت فى الثلاثة أو الأربعة . وعندئذ يكون تجويد البناء والرحابة والقدرة على الصيانة . وفى قرانا كثير من المساجد المهدمة التى يرجع اهمالها الى أن الذين أقاموها لم يبصروا بالمستقبل .

ثم هذه الأريحية البارة أيضا قد تنحصر ثمراتها فى إقامة المساجد دون المدارس أو المستشفيات أو الملاجئ لا لأن المحسن يكره هذه المؤسسات بل لأنه لا يقدرها بما تستحق ،

ففى قرانا يتفشى الرمد ويؤدى الى العمى بين كثير من الأطفال الذين يحرمون النور وتجدع حياتهم . ومع أن الحكومة تقوم بمجهود كبير لمكافحة هذا الداء فان هذا المجهود كان يكون أنجع فى المكافحة لو أن أغنياءنا عنوا أيضا بانشاء المستوصفات والمستشفيات فى القرى. وقد شرع بعض الأغنياء فى انشاء المدارس لمحو الأمية ولكن النسبة المئوية للاميين فى بلادنا تدل على أن هذه المدارس لا تزال قطرة فى بحر مما يجب أن يكون .

وقل أن نسمع أن ثريا مصريا أوصى بانشاء مكتبة عامة أو ملجأ للايتامى أو ناد للمحرومين، ولذلك يمكن أن يقال إننا اذا استثنينا عاطفة البر السامية فى انشاء المساجد وتوفيرها فى المدن والقرى لا تزال ميادين البر الأخرى دون المستوى الذى تحتاج اليه البلاد .

فلننظر مثلا إلى حاجاتنا الحربية فى الوقت الحاضر. فاننا منذ أشهر ونحن قائمون بتجهيز البلاد بجيش قوى يستطيع الدفاع عنها . وقد كانت هذه الأشهر الماضية عصيبة قلقة يخشى أن نشتبك فيها فى حرب عاتية . ومع ذلك لم يفكر أحد الأثرياء فى أن يتبرع ببعض أمواله لمعاونة الحكومة فى هذا الدفاع. لا لأن الأريحية تعوزنا، بل لأننا نجهل أساليب البر وتفرعها وتعدد المطالب المدنية . ولا عبرة بأن يقال إن الحكومة هى وحدها التى تطالب بالانفاق على وسائل الدفاع . فانه حتى مع صحة هذا القول يبقى على الأثرياء واجب المعونة . كما نرى مثلا فى التعليم فاننا ننشئ المدارس ونتبرع لها ونحبس عليها العقارات المغلة مع أننا نعرف أن الحكومة مطالبة بتعليم الأمة . واذا كان فى الأمة من الشباب من يتطوع بدمه فى الدفاع فانه يجب أن يكون بين الأثرياء من يتبرع بماله لهذه الغاية الشريفة أيضا .

ونحن حين نطالبهم بهذا الواجب لا نشذ عما يجرى فى الأقطار المتمدنة . ففى الحرب الماضية مثلا حين كانت الحكومة البريطانية تعقد القروض لكى تنفق على الحرب تقدم لها "فاعل خير" لم يذكر اسمه بمبلغ ١٠٠,٠٠٠ جنيه . وقد عرف بعد عقد الصلح بسنوات أن هذا المتبرع الكريم هو المستر بولدوين الذى صار بعد ذلك رئيسا للوزارة . وفى هذه الحرب رأينا اللورد نوفيلد يتقدم بالاقتراح على صفحات الجرائد بأنه مستعد لأن يتبرع لجمعية الصليب الأحمر بمبلغ ١٠٠,٠٠٠ جنيه إذا كان الجمهور يجمع مثل هذا المبلغ. وهذا برودعوة إلى البر. كما تبرع ثرى آخر بمبلغ ٥٠,٠٠٠ جنيه للترفيه عن الجنود الانجليز فى الميدان الغربى .

وقد ضربنا المثل عن التبرع للحرب لأنه أبعد ألوان البر عن أذهاننا . وهناك بالطبع ألوان أخرى تسترعى التفاتنا ويجدر بأثريائنا أن يقتدوا فيها بالأثرياء الأوربيين والأمريكيين. فهذا اللورد نوفيلد الذى ذكرنا تبرعه لجمعية الصليب الأحمر قد بلغت تبرعاته إلى الآن لمختلف شؤون الخير فى بريطانيا نحو ١٥ مليون جنيه . وهذا مبلغ ضخم يزيد على ميزانية دولة صغيرة . وقد وزع هذا المبلغ على المستشفيات والمدارس والمكاتب والمصحات والبحارة والعمال الخ.

وأمريكا هى مضرب الأمثال فى البر الذى يقوم به الأثرياء . فان كارنجى الذى جمع الملايين قد أنفق أيضا الملايين على إنشاء المكتبات لا فى الولايات المتحدة وحدها بل أيضا فى اسكوتلانده مسقط رأسه . وجميع هذه المكتبات قد اشترى لها الأرض وشيد بناءها وجهزها بمئات الألوف من المجلدات وحبس عليها الأوقاف المغلة للصيانة والإدارة والتجديد . وهى تزود جميع القراء بنور الثقافة العصرية وتشغل فراغهم بما يرقيهم . وكل هذا بالمجان .

وهذا أيضا روكفيلر الذى مات منذ سنوات قريبة . فانه أنشأ " معهد روكفيلر " وهو معهد فريد مبتكر يقوم بالبحوث العلمية فى نحو ثلاثين علما مختلفا من درس الآثار القديمة فى مصر والهند وغيرهما إلى درس الجغرافية والوراثة والاقتصاديات وما إلى ذلك . وله بعوث فى جميع أقطار العالم تقريبا . وبعثته التى تبحث شؤون القرية فى مصر تقوم بأبر الأعمال وأجداها لصيانة الصحة العامة بين القرويين .

وهناك مثال مشهور هو نوبل مخترع الديناميت الذى أرصى بجوائز مالية جسيمة تمنح لمن يخدمون العلوم فى أقطار العالم المختلفة . ولم ينس — وهو مخترع الديناميت للحرب — أن يخص احدى هذه الجوائز لمن يخدم السلم . بل هنا مثال قريب منا هو المسيو افيروف الثرى اليونانى الذى أهدى الى حكومته طرادا تعزز به قوتها البحرية . وقبل أسابيع ذكرت الصحف أن ثرية يونانية توفيت فى مارسيليا أوصت بخمسين ألف جنيه تنفق على ترقية الجالية اليونانية بالاسكندرية .

ولسنا نطالب أغنياءنا بأن ينفقوا الألوف والملايين فى البر . ولكن لينفق كل ذى سعة من سعته وعلى قدر طاقته . وليس يشترط فى البر أن يكون مشروعات ضخمة .

فهناك المستوصف الصغير الذى يحضره طبيب ساعة أو ساعتين فى اليوم فيعالج المريض الخارجى ويقدم له الدواء بالمجان . فان الجمعية الخيرية الصغيرة تستطيع أن تقوم بهذه الخدمة البارة بأقل التكاليف فى المدن ، كما يستطيع الغنى أن يقوم بمثل هذا الواجب فى قريته حيث يصعب عليه الحصول على استشارة طبية أو يشق عليه شراء الدواء . كما يمكن أغنياءنا أن يحبسوا بعض أموالهم لتشجيع المؤلفين بايجاد جوائز تمنحها الجامعة للمؤلفين المبرزين المتخصصين أو الشعبيين فى الفنون والعلوم . فان مثل هذه الجوائز تحث على التأليف والمثابرة فى هذا العمل المضنى الذى لا يلقى التشجيع الكافى من الجمهور . وبلادنا تحتاج الى العشرات من البحوث العلمية فى الصحة والزراعة والتعدين والصناعة . وايجاد مؤسسة صغيرة يعمل فيها اثنان أو ثلاثة أو أكثر لخدمة احد هذه البحوث يعود بفوائد لا تقدر لوطننا .